العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات

اللباس المادي والمعنوي... كلاهما خير ولكن؟!

مطارحات الأديان والعقول في الألبسة الظاهرة والباطنة ورجاحة انتقاء الأطهر

حسن الهاشمي

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

شعبة الدراسات والنشرات

كربلاء المقدسة
ص.ب (٢٣٣)
هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: اللباس المادي والمعنوي...كلاهما خير ولكن؟!.
تأليف: حسن الهاشمي.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.
التدقيق اللغوي: موفق هاشم الرحال.
التصميم: علاء سعيد الأسدي.
الاخراج الطباعي: محمد قاسم النصراوي.
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر.
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠ .

ربيع الأول ١٤٣٦-كانون الثاني ٢٠١٥

المقدمة

طالما فكرت في موضوع اللباس وما فيه من تداعيات وهواجس تبقى تقلقني وتهز أعماقي من الداخل كأنها كابوس لا يفتأ أن يراودني كلما سافرت واطلعت على طبائع وعادات بعض الأفراد الذين يبقون مهوسين باللباس دونما تفكر وتعمّل بالهدف من ورائه والعلة التي تحتم علينا تقمصه وارتداءه.

لعله بات من الواضح أن اللباس يحمينا من الحر والقر، وهو الذي نتزين به كما تتزين الطيور بريشها لونا ونوعا وجمالا، وقبل هذا وذاك نستر به عوراتنا ونصون به شرفنا وعزتنا وسؤددنا وكرامتنا، ويندرج كذلك في المهن والصناعات، فهو الذي يحمينا من طوارق الزمان وجلد الطبيعة ومخاطر البحار ومناجم المعادن والآثار وما يدور في السماء والأفلاك.

وثمة مقارنة بين اللباس المادي واللباس المعنوي، فكما يتدثر الانسان بلباسه المادي من الحر والقر، فإنه بلباسه المعنوي يتدثر عن المعاصي والذنوب، وطالما أن التقوى ومخافة الله تعالى والعمل بواجباته والنهي عن محرماته والتي تبقى مطمح كل حر وغيور على وجه الأرض؛ لأنها تحصنه لا محالة عن الكذب والغيبة والافتراء وسائر المعاصي التي تورد بصاحبها موارد الهلكة والخذلان، ومع كل ما ذكر يبقى أغلب الناس يهرولون إزاء المظهر لا المخبر، إزاء القشور تاركين اللباب وراء ظهورهم، والحال أن حكمة وجود القشور هي حماية وصيانة اللباب من التلف والعيوب، فهل من مدكر؟!.

اللباس ضرورة لابد منها

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾. (الأعراف آية ٢٦).

الخطاب هنا موجه إلى بني آدم لقد خلقنا لكم لباسا يستر عوراتكم ولباسا تتزينون به، ولباس التقوى أفضل من ذلك، حيث إن خلق اللباس من آيات الله الدالة على فضله على عباده ورحمته بهم رجاء أن يتذكروا ويتورعوا عن القبائح ويتفهموا أهمية الستر وبشاعة التعري.

ثم خاطب الله سبحانه بني آدم محذراً إياهم من فتنة الشيطان وتعريضهم للمتاعب والمشاق كما فعل مع أبويهم من إغوائهما والكذب عليهما حتى

أخرجهما من الجنة نازعاً عنهما لباسهما الذي سترهما الله به ليريهما عوراتهما، فهو وجنوده وأتباعه يسعون لاغوائكم وتعريكم من كل لباس فيه وقاركم وكرامتكم، لذا فإن كشف العورة والتعري والتبرج من القبائح عند العقلاء لأنها:

١. تسيء إلى صاحبها وتنقصه.

٢. تسخط الله تعالى وتستدعي الهبوط من المقامات العلية إلى المقامات الدنية.

٣. تزيل النعمة ورغد العيش.

وفائدة اللباس لا تقتصر على ستر البدن وإخفاء العيوب والسوءات، بل للتجمل والزينة أيضا، حيث يجعل أجسامكم أجمل مما هي عليه، وكلمة ريش التي جاءت في الآية في الأصل هو ما يستر أجسام الطيور، حيث إن ريش الطيور هو اللباس الطبيعي في أجسامها، وإن ريش الطير في الأغلب مختلف الألوان

لذلك تتضمن هذه الكلمة مفهوم الزينة والجمال.

إن الملابس تعكس ثقافة الشعوب وعاداتها وتقاليدها ومناخاتها ومواكبة كل ما هو جديد في عالم الألبسة، كل هذا جيد شريطة أن لا يخدش الحياء ولا يثير الشهوات والغريزة الحيوانية عند الجنسين، فاللباس المحتشم سواء تربعت عليه القلنسوة أو الكوفية أو القبعة أو العمامة، إنه سُلّم يصعد به البشر إلى لغة العفة والطهارة، وأبعدهم عنه أدناهم من أسفل السلم يـراوح مكانه لا يشعر يوما أنه ينتشي بنخب الكرامة التي هي تساوق دوما وابدا الحشمة والوقار، وإن التعري واللباس الفاحش هي في الحقيقة السوس الذي ينخر فيها ويجعلها قاعا صفصفاً.

نحن لسنا ضد التغيير والتطور وانما ضد التفحش والبذاءة، ولا خير في شعب لا يتغير ولا تتغير لغته

واساليبه وأناقته في عالم سرّه التغيّر، والشعب المنكفئ على نفسه في المأكل والملبس والمسكن دون تطور ضمن الأطر الشرعية في الكسب والجمال والنظافة، إنه كبركة ماء لا منفذ للماء المتجدد منها أو إليها، تملؤها الرياح والركود أقذارا، فلا تلبث أن تكثر حشراتها وتنتشر منها الأوبئة وروائح الانحلال، تماما كالمتنكر لحشمته في الملبس والمأكل والمنكح وكلما يقوم به أود الحياة وديمومتها واستمرارها.

أيهما أفضل اللباس المادي أو المعنوي؟!

ثم تحدث القرآن الكريم عُقَيْبَ هذه الجملة التي كانت حول اللباس الظاهري، عن حد اللباس المعنوي، وتشبيه التقوى باللباس تشبيه قوي الدلالة، لأنه كما أن اللباس يحفظ البدن من الحر والقر، فإنه يقي الجسم عن الكثير من الأخطار ويستر العيوب الجسمانية، وهو بالإضافة إلى هذا وذاك زينة للإنسان

ومصدر جمال، كذلك روح التقوى التي تحفظ الإنسان وتنطوي تحتها معاني الحياء والعمل الصالح وأمثالها، فإنها مضافا إلى ستر عيوب الإنسان ووقايته من الكثير من الأخطار الفردية والاجتماعية، تعد زينة كبرى له، زينة ملفتة للنظر تضيف إلى شخصيته رفعة وسموا، وتزيدها جلالا وبهاء.

والتقوى هي الخشية والخوف من الله ﷻ، وذلك يعني اتقاء ما يجر الإنسان إلى النار بالامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه، بالتخلي عن كل رذيلة والتحلي بكل فضيلة.

١. قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾.(الطلاق آية٢-٣)

٢. التقوى تؤدي إلى العزة والكرامة.

٣. التقوى تفرج الهموم وتكشف الغموم

وتذهب بالضيق.

٤. التقوى تسهل المصاعب وتذهب بالشدائد.

٥. كما جاء في الأحاديث: «**المتقون سادة والفقهاء قادة والجلوس إليهم عبادة**»[١].

وإن مقارنة بسيطة بين اللباس المادي والمعنوي يتجلى لدينا أن اللباس المعنوي وهو التقوى وما يقطفه الإنسان منها من خيرات حسان لا يمكن مقارنتها بفوائد اللباس المادي وإن كانت له فوائد جمة، فأين العتق من النار من اتقاء البرد والحر؟! وأين التحلي بالصدق والأمانة والوفاء وبر الوالدين من التزين والادثار والاستتار؟! وكيف لا وأن اللباس المحتشم في اللباس المادي هو ثمرة من ثمرات التقوى التي تجعله أكثر ألقاً وبهاءً وازدهاراً، ولا يزال اللباس المادي ومهما بلغ من الأهمية والعطاء الزاخر، بيد

(١) امالي الطوسي: ج١-ص٢٥٤.

أنه يبقى مدينا وخجولا أمام عظمة اللباس المعنوي، فالتقوى هي المنجى في الآخرة والأولى.

أنواع اللباس

في ظل الحياة الصناعية الحاضرة أصبح الجانب الوقائي من الألبسة في المرتبة الأولى من الأهمية في الكثير من الحقول، فرجال الفضاء ورجال الإطفاء وعمال المعادن والمناجم والغواصون وغيرهم كثيرون يستخدمون ألبسة خاصة لوقاية أنفسهم من مختلف الأخطار، لقد تطورت وسائل إنتاج الألبسة والثياب في عصرنا الراهن تطورا هائلا واتسع نطاقها كبيرا، بحيث أصبح لا يقاس بما مضى.

ولكن للأسف قد اتسعت الجوانب الفرعية بل وغير المحمودة والفاضحة للثياب والألبسة وتعددت كثيرا إلى درجة أنها طغت على الفلسفة الأصلية للباس، لقد أصبح اللباس ـ اليوم ـ وسيلة

لأنواع التظاهر وإشاعة الفساد وتحريك الشهوات والتكبر والإسراف والتبذير، حتى أننا ربما نشاهد ألبسة يرتديها جماعات من الناس وبخاصة الشباب المتغرب يفوق طابعها الجنوني على الطابع العقلائي، والذي تقود إليه الدراسة الموضوعية لهذه الظواهر هو أن للعقد النفسية دوراً مهماً في ارتداء مثل هذه الألبسة العجيبة الغريبة، فالأفراد الذين لا يتمكنون من القيام بعمل مهم وملفت للنظر لتوكيد وجودهم في المجتمع يلجؤون إلى هذا الأسلوب ويحاولون بارتداء هذه الألبسة غير المأنوسة والعجيبة إثبات وجودهم وحضورهم، ولهذا نلاحظ أن أصحاب الشخصيات المحترمة ينفرون من ارتداء مثل هذه الثياب.

فاللباس بالرغم من أهميته فإنه يبقى وسيلة وليس غاية بحد ذاته، وسيلة للبلوغ إلى كمال النفس

ولا يمكن بلوغه إلّا باللباس المحتشم الذي يحفظ للإنسان كرامته وعزّه وشموخه، فالأخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة هي التي تضفي ذلك التألق للباس، على خلاف ما يتوخاه الفارغ عقدياً، فإنه يحاول إضفاء هيبته باللباس المادي الذي يرتديه، وهذا الاسلوب الفارغ لا ينطلي إلّا على السطحيين من أمثاله، أما أصحاب العقول النيرة فإنهم يقيمون الشخص بأخلاقه وعلمه حتى لو كانت ملابسه متواضعة، في حين أن أصحاب العقول المريضة مهوسون بموضات الملابس للفارغين والفارغات، تبهرهم وتعج بهم قاعات عارضي وعارضات الأزياء التي باتت في عصرنا الحاضر مراكز للدعارة وإعلانات للتجارة، خرجت أغلبها من حدود اللياقة الأخلاقية في الفلسفة الحقيقة لارتداء الملابس عند عقلاء الأمة.

وعلى كل حال فإن مبالغ طائلة وثروات عظيمة

جدا تهدر وتبدد في سبيل اقتناء وتعاطي الألبسة المتنوعة والموضات المختلفة، ولو منع من تبذيرها لأمكن حل الكثير من المشكلات الاجتماعية بها، ولتحولت إلى بلاسم وضمادات ناجعة لكثير من جراحات الطبقات المحرومة والفئات البائسة في المجتمعات البشرية.

اللباس المحتشم فريضة على جميع الديانات

إن الأمر بارتداء الحجاب كما جاء في القرآن جاء أيضا في التوراة والإنجيل، أي أن الحجاب ليس فريضة على المسلمات فقط ولكنه أيضا فريضة على اليهوديات والنصرانيات، أي أنه كما أن المسلمة التي لا ترتدي الحجاب عاصية لله فكذلك اليهودية والنصرانية، وإليكم الأدلة على ذلك من التوراة والإنجيل والقرآن، فقد جاء في التوراة في سفر التكوين ٢٤:٦٥ «**ينبغي ألّا تقارن المرأة أجنبيا**

عنها إلّا بعد تغطية شعر رأسها»، وجاء في الإنجيل في تعاليم الرسل الباب الثاني **«إن أردت أن تصيري مؤمنة أيتها المرأة لا تتزيني لترضي رجلا غريبا ولا ترغبي أن تلبسي ثيابا خفافا هذه التي تليق بالزانيات ليتبعك الذين يصادون بهذه الأعمال وإن كنت لا تفعلين هذه الأفعال القبيحة لتخطئي فإنك بتزينك وحده على هذا النحو تدانين لأنك بها تضطرين من يراك أن يتبعك ويشتهيك فلم لا تتحفظين لئلا تقعي في الخطيئة ولا تدعي أحدا يقع في الخطيئة لأجلك»**.

أما الآيات القرآنية التي تأمر بالحجاب وستر المرأة لجميع بدنها فكثيرة أكتفي منها بقوله تعالى في الآية ٥٩ من سورة الأحزاب : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾، فيجب بعد هذا البيان على كل امرأة

مؤمنة سواء كانت مسلمة أو نصرانية أو حتى يهودية أن ترتدي الحجاب الذي يستر جميع بدنها حتى لا تقع في الخطيئة ولا تدع أحدا يقع في الخطيئة لأجلها كما جاء في الإنجيل، وعليهن جميعا أن يتشبهن بسيدة نساء زمانها (مريم) أم عيسى عليه السلام وسيدة نساء العالمين الزهراء البتول عليها السلام.

وجوب اللباس المحتشم

مما لا شك فيه أن الإسلام دين شامل للحياة، فلا يهتم بجانب على حساب جانب آخر، بل يعطي لكل جانب حقه من الرعاية والاهتمام من خلال إبراز دوره والأحكام المرتبطة به حتى يكون هناك تكامل وانسجام بين كل المفاهيم الإسلامية التي لا تقبل الانفصال أو الانفكاك عن بعضها البعض.

من هنا اهتم الإسلام عبر أحكامه وأنظمته بظاهر الإنسان وباطنه، وعمل على أن تكون شخصية

المسلم متكاملة من كل النواحي، ومن أهم المظاهر الخارجية للمسلم هي «مسألة اللباس» الذي هو ستر لجسد كلٍّ من الرجل والمرأة بين أفراد المجتمع؛ لأن اللباس حاجة ضرورية عند بني البشر لستر عوراتهم عن أعين الناظرين، ولذا نرى أن كل شعوب الأرض تستر أجسادها وإن كان ذلك يختلف من شعب لآخر تبعاً لقناعاته الفكرية أو أساليبه العملية في هذا المجال.

وبما إن المرأة هي مركز الأنوثة والعاطفة والجمال، فإن الإسلام أولاها عناية خاصة من ناحية اللبس والاحتشام على أن يكون لباسها ساتراً لكل جسدها ما عدا الوجه والكفين حيث يجوز لها إظهارهما ولا يجب عليها سترهما، ويجب أن يكون اللباس غير شفاف بحيث لا يرى الناظر ما تحت الثياب وإلّا صار لبسه حراماً؛ لأنه لا يكون ساتراً لمفاتن المرأة

وجسدها، وقد قال تعالى في ذلك: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى لأن يُعرَفن فلا يؤذين، وكان الله غفوراً رحيماً**﴾. (الأحزاب ٥٩).

فالستر للمرأة هو حصانة لها وهو الموافق لفطرتها وطبيعة تكوينها التي ميزها الله سبحانه وتعالى بأن أودع فيها الحياء والعفة والخجل، بحيث تكون هذهِ الفطرة والكينونة رادعاً لها من أن تبرز جسدها وتعرض مفاتنها أمام الغريب أو القريب من غير المحارم، وبهذا تفترق المرأة المسلمة عن نساء الآخرين الذين لا يشترطون في لباس المرأة هذا الشرط الشرعي مما أدى مع مرور الزمن الى الإباحية المطلقة عند بعض الفئات التي نراها اليوم بحجة حرية المرأة أو تحررها لا فرق، وصارت سلعة معروضة للبيع أو الشراء في سوق النخاسة العالمي الجديد والذي هو

أسوأ من الأزمنة التي كانت تباع فيها المرأة، لأنه في تلك الأزمنة وإن كانت المرأة تباع أحياناً لكنها كانت مصانة ومحفوظة في إنسانيتها وعفتها وطهارتها وليس كما هو حال المرأة اليوم.

شروط اللباس في الرجل والمرأة

إن اللباس الشرعي في الإسلام له شروط ومواصفات لا بد من توافرها حتى يكون مقبولاً ومنسجماً مع قناعته الإسلامية، وشروط اللباس هي:

١. يستحسن أن تكون الملابس فضفاضة وساترة للجسم، ومن غير اللائق التعري ولبس الملابس الشفافة والمثيرة لغير المحارم؛ لأن العري هو مظهر من مظاهر الجاهلية، فضلاً عن كونه يذهب بقيمة الإنسان وما يمثله من مبادئ سامية.

٢. من غير اللائق أن يلبس الرجل اللباس

الخاص بالمرأة، أو تلبس المرأة اللباس الخاص بالرجل، أو الألبسة ذات الألوان الصارخة لكلا الجنسين؛ لأن لكل منهما نوعاً خاصاً من الثياب ينسجم مع طبيعته التكوينية.

٣. اللباس السائغ شرعاً وذوقاً وعرفاً ما يكون من كد اليمين وعرق الجبين، أما اذا كان مسروقاً أو مغصوباً أو ما شابه ذلك فانه لا يليق بالرجل والمرأة اللذين يحترمان نفسيهما ويتمتعان حقوقهما دون الاعتداء على حقوق الآخرين.

٤. بما ان الذهب من مختصات النساء؛ لما له من الأثر السلبي على الرجال صحياً وسلوكياً، فمن المستهجن لبس الذهب حلياً أو استخدامه في ملابس الرجل للزينة.

٥. الرجل اذا ما أراد أن يحافظ على تواضعه وعفته وحياءه عليه أن يتجنب لبس الحرير أو كل ما

من شأنه أن يخدش بهذه الصفات النبيلة لديه.

٦. من دواعي الفخر والاعتزاز والعفة والسداد أن يكون اللباس للرجل المسلم محتشماً يتلاءم مع قناعاته الإيمانية فلا يلبس السروال القصير أو أن يفتح أزرار قميصه ليبدو صدره ويظهر للناس؛ لأن هذا المظهر فيه نوع من الخفة والمهانة وهتك الحرمة للمؤمن.

٧. من دواعي الحياء والعفة والفخار للمرأة أن لا تتزين للأجانب؛ لأن هذا يتنافى مع كرامة المرأة المسلمة وعفتها؛ لأن التزين له حالات محدودة يجوز للمرأة فيها فعل ذلك، كما في تزين المرأة المتزوجة لزوجها، وغيرها من الحالات الجائزة والمدونة في الكتب الفقهية أو في داخل منزلها مع عدم وجود من يحرم إليها التزين أمامه.

ليس الحِجاب كما يصوّره المتحلّلون تخلّفاً ورجعيّة، وإنّما هو حشمة وحصانة، يصون المرأة من التبذّل والإسفاف، ويقيها تلصّص الغواة والداعرين، وتجنّبها مزالق الفِتَن والشرور.

وحسب المسلمين ان يعتبروا بما أصاب الأُمم الغربيّة مِن ويلات السفور والتبرّج، واختلاط الجنسين، ما جعلها في وضعٍ سيّئ وحالةٍ مزرية، من التسيّب الخُلقي، وغدَت تعاني ألوان المآسي الأخلاقيّة والصحّية والاجتماعيّة.

وممّا يُخمّنه القاضي (لندسي) الأمريكي: «أنّ خمساً وأربعين في المِئة مِن فتَيات المدارس يدنّسن أعراضهنّ قبل خروجهن منها، وترتفع هذه النسبة كثيراً في مراحل التعليم التالية».

وكـان من الطبيعي لأُمّـةٍ شـاع فيها الفساد، وتلاشت فيها قِيَم الدين والأخلاق، أنْ تُعاني نتائج شذوذها وتفسّخها، فتنهار صحّتها كما انهـارت أخلاقها مِن قبل، وهذا ما حدَث فعلاً في الأوساط الغربيّة، حيث استهدفتها الأمراض الزهريّة، وكبّدتها خسائر فادحة في الأرواح والأموال، وجاءت تقارير أطّباء الغرب معلنةً أبعاد تلك الأمراض ومآسيها الخطيرة في أرقى تلك الأُمَم وأكثرها تشدّقاً بالحضارة والمدنيّة.

قال الدكتور الفرنسي(ليريد): «إنّه يموت في فرنسا ثلاثون ألف نسَمة بالزهريّ، وما يتّبعها مِن الأمراض الكثيرة في كلّ سنة، وهذا المرض هو أفتك الأمراض بالأُمّة الفرنسيّة بعد حُمّى الدق».

وجاء في دائـرة المعارف البريطانيّة ج ٢٣ ص ٤٥: (إنّه يُعالج في المستشفيات الرسميّة في الولايات

المتحدة الأمريكية مِئتا ألف مريض بالزهري ومِئة وستّون ألف مصاب بالسَيَلان البنّي في كلّ سنة بالمعدل، وقد اختصّ بهذه الأمراض الجنسيّة وحدها ستّمِئة وخمسون مستشفى، على أنّه يفوق هذه المستشفيات الرسميّة نتاج الأطبّاء غير الرسميّين الذين يراجعهم ١٦٪ مِن مرضى الزهري و ٨٩٪ مِن مرضى السيَلان).

وكان حتماً مقضيّاً على تلك الأُمم المُتحلّلة أنْ تُعاني - إلى جانب خسائرها الأخلاقيّة والصحيّة - عللاً اجتماعيّة خطيرة.

فقد جنت على حياتها الأسرية والاجتماعيّة، بإغفالها مبادئ العفّة والوفاء، واستهتارها بشرائط الزوجيّة الصالحة، فانفَرَط عقدها، ووَهَت العلائق الزوجيّة، وغدَت تنفصم لأتفه الأسباب، كما شهِدت بذلك تقارير الخُبَراء.

فقد جاء في مقال نشرته جريدة(بدترويت): «إنّ ما قد نشأ بيننا اليوم من قلّة الزواج، وكثرة الطلاق، وتفاحش العلاقات غير المشروعة بين الرجال والنساء، يدلّ كلّه على أنّنا راجعون القهقرى على البهيميّة، فالرغبة الطبيعيّة في النسل إلى التلاشي، والجيل المولود ملقى حبله على غاربه، والشعور بكون تعمير الأُسرة والبيت لازماً لبقاء المدنيّة، والحكم المستقل يكاد ينتفي مِن النفوس، وبخلاف ذلك أصبح الناس ينشأ فيهم الإغفال عن مآل المدنيّة والحكومة وعدم النصح لهما».

ولو تحرّينا مردّ تلك المآسي التي اجتاحت الغرب لرأيناه ماثلاً في التبرّج والخلاعة والاختلاط، وشيوع المثيرات الجنسيّة، كالأفلام الداعرة والقصص الخلاعيّة والأغاني المخنّثة، التي مسخت القِيَم الأخلاقيّة وأشاعت الإسفاف والتهتّك في المجتمع

الإباحي، كما شهِد بذلك القوم أنفسهم.

أين الحشمة من التعري؟!

ونستنتج مِن هذا العرض السالف: أنّ الشريعة الإسلاميّة، إنّما أمرت المرأة المسلمة بالحِجاب، ونهَتها عن التبرّج والاختلاط المُريب؛ حِرصاً على كرامتها وصيانتها مِن دوافع الإساءة والتغرير، ووقايةً للمجتمع الإسلامي مِن المآسي والأرزاء التي حاقَت بالأُمَم الإباحية، ومسَخت أخلاقها وضمائرها وأورَدَتها موارد الشقاء والهلاك.

يبقى اللباس الذي يستر عورات الرجل والمرأة ويحميهما من كل متربص آثم ومن طوارق الزمان والمكان، يبقى هو اللبنة الأولى في تكوين الشخصية الانسانية في الحياء والتعفف والكمال، فإن الإنسان مجبول على صفات لولاها لمسخت الحياة ولذهب بهاؤها ورونقها الأخّاذ، ربما ينتشي الفرد في متاهات

العري والتبرج والصفاقة والوقاحة، ولكنها زوبعة في فنجان لا يكاد ينطفِئ ويخبو جذوها ريثما ترسو سفينة المرء على ساحل المروءة التي تأبى إلا أن يتكامل بالحشمة لا بالدعارة وبالهيبة لا بالسفاهة.

ولو استعرضنا سلوك المنجرفين في تيار الوضاعة والاسفاف، لرأينا أن الكثير منهم يرجعون إلى صوابهم وفطرتهم النقية، فيحجمون على ما هم عليه من التبرج والتعري إلى حيث النقاء والطهارة في اللباس الذي يواري سوءة الروح والجسد، فالمتابع للحوادث والأخبار يطالع بين الفينة والأخرى أن زرافات ووحدانا من الفنانين والفنانات والعارضين والعارضات والمغنين والمغنيات الذين باعوا حياتهم في برهة من الزمن الأغبر للنفس الأمارة بالسوء والشيطان، فإنهم وبعد سني العجاف التي عاشوها في صخب التعري والمجون والطيش، قد أدركوا

الخطأ الفادح الـذي هم عليه، فقرروا العودة إلى أحضان الفطرة السليمة، ألا وهـي فطرة الدين واللباس المحتشم، الذي يصون شرف الإنسان ولا سيما المرأة، يصونها في صدف العزة والكرامة حفاظا من دنس الطائشين.

ربـما الـرجـوع في فـترة الكهولة والشيخوخة إلى الرشد والصواب يبدو أنه أمر لا يثير الدهشة والاستغراب، وإنما الذي يثيرهما الرجوع في فترة الصبا وهم في أوج الحيوية والنظارة والعطاء، وهذا يعكس أن الحضارة المادية الملوثة بالسفور والتعري والتفحش والابـتـذال إنـما هي نـزوة عابرة تردي بصاحبها إلى ساحل الندامة والخجل، وترجعه بعد الارتطام بصخرة الواقع المرير إلى رشـده وعقله وحكمته في أن الحياة المتألقة والنجاحات الباهرة والسمعة الحسنة تكمن في الاحتشام واللباس الذي

يصون الشرف والعرض والناموس، أما التعري واللباس الشفاف والضيق والقصير فإن مآله إلى مستنقع الرذيلة، وشتان ما بين الفضيلة والرذيلة وشتان ما بين الحفاظ على الشرف وانتهاك الشرف، فإن الشرف والكرامة والعزة هي أغلى ما يمتلك الانسان في هذا الوجود، والحياة بدون شرف وكرامة فإنها جوفاء هزلاء لا فائدة فيها ولا رجاء.

الخاتمة

لا يـزال اللباس المحتشم الـذي يـوافـق قيم وعادات وتقاليد المرء، يقف بكل جدارة على منصة الشرف، ولا يزال صدره مثقلا بالأوسمة، وجبينه بالرفعة، وحياته بالبركة، وكرامته بالصيانة، وعاقبته بالحسنى، في حين تمشي المـروءة والصدق والأمانة والمحبة والإيـمان، منقادة مع ذلك المحتشم الحيي، فتضفي عليه بهاء وكمالا وتألقا.

وطالما بقي شبح العري والتبرج يطارد صاحبه ويجلسه على عرش البطولة المزيف، وتنفخ فيه أبواق الإعـلام الماجن، وتجعل منه بطلا تبالغ في تمجيده وتكريمه، ولكنهم يعيشون اللحظة دونما تعمّل حتى إذا جثم الكبر وظهرت الشيخوخة والترهل والخور، تركوه يندب حظه العاثر يكابد المجهول بيد مجذوذة.

ربما يتوهم البعض أن الأناقة للمرأة باللباس القصير والشفاف، وفاته أنه يتوخى الأناقة المزيفة التي تجعل الأنيق في معرض السرقة والانتهاك الصارخ لكل من هب ودب، فإنه يتوخى مردود الجمال ومردود الشناعة، في حين أن العاقل ما برح يناصر الجمال على الشناعة، فالجمال جمال الروح لا البدن العاري، جمال الأخلاق لا الابتذال، جمال الاحتشام لا الاسفاف، وما نراه اليوم في الفضائيات من عروض للأزياء أو في النوادي والمنتديات المختلطة من ارتداء لملابس صاخبة ربما يتخيل إلى البعض أنها أناقة ولكنها في حقيقة الأمر أنها تفاهة.

المحتشم مقتنع بلباسه فهو يرفض ما يلبسون وما يلهون وما يعرشون، هكذا رباه بديع السماوات والأرض، وهكذا وجهته فطرته السليمة، بأنه يبقى مدافعا عن شرفه، وشرفه في حشمته وترفعه عن

سفاسف الأمور، فإن تحققت له الرفعة والسمو لا يبالي من ألسنتهم، فإنه أطهر من أن تدنسه بذاءتهم، هو بعيد عنهم بعد أفكاره عن أفكارهم.